**المحاضرة الثانية: اللسانيات النفسية وعلاقتها بالعلوم الأخرى- الجزء الأول -**

**1-العلاقة بين اللسانيات وعلم النفس:**

يرى العالم اللساني **دي سوسيرDussausure** أن اللسانيات لها وجهان: الوجه الفيزيائي المادي والوجه النفسي المتصل بالفرد، وقد طور هذا المفهوم طلابه والباحثون اللسانيون الذين جاءوا بعده، وحصل التقاطع بين علم اللسانيات وعلم النفس وتولد عن ذلك ما يسمى بالمعرفة اللسانية التي تدرس اللغة البشرية دراسة علمية نفسية ، سمي ذلك العلم بعلم النفس اللغة، ومن ثم نشأت مناهج لدراسة اللغة ومنها علم النفس اللغوي.

كما أن العلاقة بين علم اللغة وعلم النفس تعود إلى طبيعة اللغة باعتبارها أحد مظاهر السلوك الإنساني، غير أن البحث في قضايا اللغة من وجهة اللغويين يختلف عن علماء النفس، ويكمن الفرق في أن علم اللغة يصب اهتمامه على محتوى السلوك نفسه والعمليات العقلية التي تسبق صدور العبارات اللغوية، والعلاقة بين الجهاز العصبي والنطقي.[[1]](#footnote-2)

مع بداية القرن العشرين وتحديدا في الولايات المتحدة الأمريكية، زاد اهتمام علماء النفس باللغة، فخصص عدد كامل من مجلة "علم النفس الأمريكي" عام 1930م لدراسة المشكلات النفس لغوية وخاصة ما يتعلق بمفهوم اللغة والكلام، وعلى المستوى اللغوي، فإن نشأة اللسانيات تكاد تكون بداياتها متشابهة مع ما تم على مستوى الدرس النفسي، فكما تأثر علماء النفس بآراء الفلاسفة، فإن علماء اللغة قد صرحوا بأن الدرس اللغوي قد ولد من رحم الفلسفة ومنطق اليونان حتى تحرر علما مستقلا عن الفلسفة على يد العالم اللغوي "فريديناد دي سوسير**Sasussure De Ferdinand**" وسمي بعلم اللغة، والجدير بالذكر أن الدراسات اللسانية في القرن التاسع عشر قد تحرت الطابع الاجتماعي في اللغة وربطت بين اللغة والفكر واللغة والعقل وبحثت عن مراكز اللغة في الدماغ ودورها في ملكة اللغة الإنسانية مما قاد إلى الاهتمام بالجوانب الإنسانية المعرفية المحيطة بالسلوك اللغوي واكتسابه، يمكننا القول بأنه مع نهاية القرن 19 وبداية القرن العشرين بزغت أولى مراحل نشأة العلاقات بين اللسانيات وعلم النفس، وهي جملة مبادرات لم تتجاوز الإشارة بحتمية التعاضد المعرفي بين التخصصين وإفادة كل منهما من الآخر، وذلك باستعانة اللغويين بمعطيات علم النفس في دراسة اللغة، وإدراك علماء النفس أهمية اللغة في تحري موضوعاتهم الكبرى كالتعلم و الإدراك والتخيل والتفكير. المرحلة الثانية مرحلة البناء، وتعد هذه المرحلة في تاريخ نشأة العلاقات النفس لغوية واللغو نفسية أكثر قوة وتميزا، وتنبع قوتها من التقارب اللافت بين منهجي علم النفس واللغة، فقد اعتمد علماء النفس المنهج السلوكي في التفكير في فترة الأربعينات والخمسينات وصولا إلى المنهج المعرفي في الستينات والسبعينات من القرن العشرين، وبالمقابل أنتج اللسانيون " البنيوية السلوكية" في الأربعينات والخمسينات حتى آثروا المنهج التوليدي في أوائل الستينات من القرن العشرين.

تأسست المدرسة السلوكية على يد "جون واطسون**Watson John**" الذي اجتهد في تحري أساليب البحث الملائمة للطبيعة الإنسانية مستفيدا من البحوث التطبيقية على الحيوانات في علم نفس الحيوان متخذا الملاحظة أساسا يعتمده في منهجه مناقضا منهج الاستبطان اقتداء ب "أوجت كونت**Kount Aoujst**" في إيمانه بمصداقية المعلومات التي تأتي عن طريق الملاحظة الموضوعية، وركز "واطسن" على الاستجابات الملاحظة عيانا والمقاسة بطريقة موضوعية علمية رافضا البحث في المفاهيم العقلية مثل الوعي والحدس والتفكير واكتساب المعرفة التي لا يراها مناسبة للبحث النفسي لصعوبة ملاحظتها وتتبع تطورها، وفي المقابل شهدت اللسانيات اهتماما بالمنهج السلوكي، فقد اهتم عالم اللغة "بلومفيد**Bloomfield**" بالتفسير الآلي والسلوكي للغة متشبعا بأفكار علماء النفس السلوكية القائمة على اعتبار اللغة ظاهرة سلوكية إنسانية كسائر الظواهر الإنسانية الآخرى. وبنى أبحاثه اللغوية على نتائج دراسات علماء النفس مؤكدا تأثره بآرائهم السلوكية.[[2]](#footnote-3)

**2-علاقة علم النفس اللغوي بعلم النفس الإكلينيكي ((العيادي)):**

يهتم علم النفس الإكلينيكي بمظاهر الاضطرابات التي تصيب سلوك الفرد و شخصيته ووسائل علاجها، ومن هذه الاضطرابات الأمراض العقلية و انحراف الأحداث و السلوك الإجرامي، والإدمان على المخدرات و التخلف العقلي.

أول من استخدم مصطلح علم النفس الإكلينيكي هو "ويتمر" و يعتمد على مناهج القياس و التحليل و الملاحظة.

علم النفس الإكلينيكي هدفه فهم سلوك الناس و مساعدتهم على التكيف.

من المشكلات التي يهتم بها الأخصائيون في ميدان الصحة العقلية ((القلق والاكتئاب))

أهم الوظائف التي يقوم بها علم النفس الإكلينيكي:

1. المساهمة في التشخيص.
2. القيام بالعلاج و تعديل السلوك المضطرب.
3. البحوث المتخصصة.

ج - تصنيف الطب النفسي لسلوك المضطرب.

د- نسب التخلف العقلي وتعتمد على فهم قياس الذكاء لأن هناك عمر عقلي و عمر زمني و النسبة تكون في تقسيم العمر العقلي على العمر الزمني.[[3]](#footnote-4)

**3-علاقة اللسانيات النفسية بالفلسفة:**

إن دارس اللغة و بالأخص دارس المعنى قد ارتبط مند القديم بالفلسفة فبالرغم من استقلال علم اللغة عن الفلسفة بقي الارتباط بينهما وثيقا، فأي طرح فلسفي تحتويه اللغة الطبيعية.

**4-علاقة اللسانيات النفسية بعلم الاجتماع:**

تلتقي اللسانيات بعلم الاجتماع لتشكل لدينا ما يسمى بعلم الاجتماع اللغوي، وموضوعات علم الاجتماع اللساني متعددة نذكر منها الدراسات التي تخص المعجم المستعمل لدى فئة معينة مهنية أو حرفية أو اقتصادية أو رياضية أو فيزيائية.
**5-علاقة اللسانيات بعلم التشريح و الفيزياء:**

تستفيد اللسانيات من علم التشريح لدراسة علم النطق وانجاز عملية الكلام، فبعلم التشريح نستطيع تحديد مخارج الأصوات و الصفات .
أما الفيزياء فتساعد في تحديد دراسة الموجات الصوتية أثناء إصدار الصوت و إتمام دورة الخطاب.[[4]](#footnote-5)

**6-علاقة اللسانيات النفسية بالأنتروبولوجيا:**

**تعريف الأنتروبولوجيا :**

اصطلاح الأنتروبولوجيا هو تعريب للاصطلاح الإنجليزي" Anthropology "و الاصطلاح الفرنسي "Anthropologie "؛ و كلاهما يرجع للجمع بين الكلمتين اليونانيتين " Anthropos" و معناها الإنسان ؛ و "Logos " و معناها علم أو دراسة . [[5]](#footnote-6) و بذلك تصبح الأنتروبولوجيا العلم الذي يدرس الإنسان أو العلم الوصفي للإنسان . [[6]](#footnote-7)

 فالأنتروبولوجيا تجمع في علم واحد بين نظريتي كل من العلوم البيولوجية و العلوم الاجتماعية ؛ فتركز مشكلاتها – من ناحية – على الإنسان كعضو في المملكة الحيوانية ؛ و على سلوك الإنسان كعضو في مجتمع من ناحية أخرى .

و كذلك فإن الأنتروبولوجي لا يقصر نفسه على دراسة أي مجموعة معينة من الناس ؛ أو أي حقبة من الحقب التاريخية ؛ بل إننا نجده – على العكس من ذلك – يهتم بالأشكال الأولى للإنسان و سلوكه بنفس درجة اهتمامه بالأشكال المعاصرة ؛ إذ يدرس كل من التطور البنائي للبشرية و نمو الحضارات منذ أقدم الأشكال التي وصلتنا عنها أي سجلات أو بقايا . كذلك يوجه الأنتروبولوجي اهتماما خاصا إلى الدراسات المقارنة في سياق اهتمامه بالجماعات و الحضارات الإنسانية المعاصرة . [[7]](#footnote-8)

يجدر بنا أن نتساءل ما هو الفرق بين ما يقوم به مراسل صحفي ؛ أديب و أنتروبولوجي ؟

إن هناك كثيرا من الصفات المشتركة بينهما منها الصعوبات التي تواجد كل منهما لمقابلة من يرغبون مقابلتهم ؛ ثم دقة كل منهما في اختيار مصادر معلوماته ؛ ثم اهتمام كل منهما بتسجيل ما قال و ما عمل بكل دقة . و مع ذلك فهناك فروق بينهما تنجم عن الأغراض التي يسعى ك منهما لتحقيقها ؛ فالمحرر الصحفي يجب أن تكون كتاباته مسلية بينما يتحتم على الأنتروبولوجي أن يسجل الملاحظات ما يفرح منها و ما يزعج ؛ و الكاتب الصحفي يتحتم عليه أن يتناول دائما ما يجذب جمهور القراءة مسايرا وسائل معيشتهم بينما نجد مهمة الأنتروبولوجي الأولى تنحصر في تسجيل الوقائع كما رواها من موضع دراسته.

و يرى بعض الأنتروبولوجيون أنه لا يوجد ارتباط بين الفلكلور و الأنتروبولوجيا و مع ذلك فإن هذين العلمين يشتركان في كثير من جهدهم لقراءة مؤلفات العديد من الأنتروبولوجيون مثل " تايلور " " فريزر " و " لانج " .

و قد اعتقد **" جريمن "** أن الأساطير هي شكل أساسي للفلكلور ؛ و ترتبط هذه الأساطير بالعقيدة و الآلهة و ينظر البدائيون إلى القصص الخرافية باعتبارها تعبر عن عناصر فوق طبيعة مشتقة من العقائد و المخاوف ؛ كذلك فإن هذه القصص الخرافية ترتبط أصلا بعصور ما قبل الأدب و الثقافة . [[8]](#footnote-9)

العلاقة بين اللغة والثقافة من أهم الموضوعات التى نالت اهتمام علماء اللغة الأنثروبولوجيين، ومجال الأنثروبولوجيا هو دراسة المجتمعات والثقافة للكشف عن سلوكيات الناس المتأثرة بالأشكال الثقافية المختلفة، فالثقافة فى نظرهم أسلوب حياة.
ومن هنا فإن للغة مكانًـا بارزًا فى الدرس الثقافي، فإلى جانب كونـها وعاء للمعرفة والفكر والثقافة فهي - أيضًا - مرآة لثقافة المجتمع، ترقى برقيِّه وتنحدر بانحداره؛ فللغة اتصال وعلاقة بالمستوى الثقافي للجماعة.
أيضًا للغة دور فى تشكيل ثقافة المجتمع وأسلوب تفكيره؛ حيث إن الثقافة واللغة كلتيهما تلعبان دورًا مهمًا فى تكوين المجتمعات الإنسانية أو التجمعات العرقية المتميزة " Ethnic Groups " [[9]](#footnote-10)

يهتم علم اللغويات بتحليل اللغة في زمن بعيد ؛ و يدرس النظم الصوتية و قواعد اللغة و المفردات ؛ و في هذا يعتمد عالم اللغة على اللغة الكلامية ؛ كما يهتم بالجانب التاريخي و المقارن للغة ؛ حيث يدرس علم اللغويات العلاقات التاريخية بين اللغات التي يمكن متابعة تاريخها عن طريق وثائق مكتوبة .

و اللغة وسيلة للكلام ؛ و هي رموز حركية و شفهية و كتابية تسمح للناس أن يتصل بعضهم ببعض ليعبروا عن أنفسهم و عن التجريدات . و ذلك حتى يكون الفرد معروفا لدى الآخرين .

و تمكننا الكلمات و القواعد من أن نبعث بأحاسيسنا للآخرين حتى نستطيع أن نزاول النشاطات المختلفة و نتمكن من الوصول إلى أهدافنا .

و اللغة ظاهرة إنسانية ؛ فاستخدام الأصوات و التحدث مظاهر مميزة للجنس البشري ؛ و هاتان وظيفتان متداخلتان .

و قد عرفت " ستورتيفانت Sturtevant " اللغة بأنها رموز صوتية تعارف الناس عليها ؛ و تعمل على أن يتفاعلوا و يتعاونوا ؛ و هي عنصر من عناصر الثقافة و يكتسبها الإنسان خلال معيشته في المجتمع .

و قد ظهرت اللغة في الجماعات البدائية الأولى في صورة إشارات و هزات بالرأس و اليدين و الكتفين و قسمات الوجه حتى إن إحدى القبائل البدائية في إفريقيا لا يستطيع أفرادها التفاهم ليلا إلا إذا جلسوا حول النار.

و بعد أن تحولت اللغة من مجرد إشارات إلى أصوات ؛ ثم تحولت الأصوات إلى التقليد إلى أصوات رمزية اصطلاحية متفق عليها تقدمت اللغة حول مزيد من سهولة الاستعمال و الدلالة على المعنى المقصود و الاعتماد على الرموز . و كانت اللغة في كل هذه المرحلة تنتقل شفاها .

و لما احتاج الإنسان إلى تسجيل بعض المعلومات التي يهمه الرجوع إليها و التي يخشى نسيانها حاول اختراع الكتابة . فبدأ يرسم صور تمثل الأشياء المطلوب التعبير عنها ؛ ثم انتقل إلى التعبير عن الأفعال بصور تمثل حركات هذه الأفعال . ثم انتقل من هذه المرحلة التصويرية إلى اختصار الصور إلى جزء منها برموز لها ؛ ثم اكتفى بالرموز وحدها للدلالة على الأشياء و الأفعال ؛ و هذه المرحلة الأخيرة المعروفة بالمرحلة الصوتية التي تدل فيها الرموز على الأصوات المختلفة ؛ و هي الرموز المعروفة الآن بالحروف الهجائية ؛ و قد ظهرت أولا في مصر ؛ ثم هذبها الفينيقيون و جعلوها 26 حرفا صامتا ثم أضاف إليها اليونانيون الحروف المتحركة ؛ ثم اكتملت اللغة كأداة للتفاهم و العلم باختراع الأرقام و بذلك أمكن التعبير عن جميع هذه المعاني بالرموز الاصطلاحية المتفق عليها .

و كانت اللغة في بداية أمرها حية ؛ بمعنى أن الأشياء تسمى حسب خصائصها ؛ أما الكلمة فكانت عملية تجميعية ؛ و لأن الكلمة ترمز إلى معنى ؛ فإنها تنتج شكلا تصوريا واضحا و فكرا منطقيا ؛ و الأداة هي شيء يستخدم كوسيلة للوصول إلى الأهداف ؛ أما الحيوانات فهي لا تفكر و هي لا تملك الأدوات و لكنها تعتمد على بناءاتها الجسدية لإنجاز أهدافها .

و الحيوانات لا تستخدم الرموز و لكنها تستخدم الإشارات ؛ و يعود هذا إلى جوانب فسيولوجية ؛ فمخ الحيوان بالمقارنة يكبر مخ الإنسان لا يمكنه من تشكيل هذه التصورات .

و قد اتفق الأنتروبولوجيون البرطانيون على أن اللغة ما هي إلا وسيلة لعرض الأفكار ؛ و هي ترتبط ارتباطا كبيرا بالسلالة أو الجنس ؛ و هذا ما دعا إلى استخدام كلمة بدائية للغات بعض السلالات و الأجناس الدنيا . و مع أن الفكر لا يوجد بدون لغة و لا لغة بدون فكر حيث أن اللغة هي رد فعل للفكر ؛ إلا أننا نستطيع أن نميز بين اللغة و الفكر كما نميز بين الجوهر و الصورة .

و عندما نناقش مسألة أصل اللغة باعتبارها ظاهرة طبيعية أو اجتماعية ثقافية و التي تتصل بوظيفة اللغة لا بنشأتها نجد أن أول إجابة لهذه المسألة وردت على لسان " أرسطو " و " هيرموجينيس " ؛ و هي أن اللغة متعلقة بالتقاليد ؛ أو بعبارة أخرى مجرد اتفاق اجتماعي ؛ أي أن المجتمع أوجد اللغة لكي تؤذي وظيفة اجتماعية ضرورية مثل النظم التي أوجدها المجتمع .

فاللغة كما وصفها " مالينوفسكي " في وظيفتها البدائية ؛ هي أسلوب من أساليب الفعل ؛ و ليست مجرد دليل على وجود الفكر أو علاقة لإثبات و تأكيد العقل ؛ فلا يمكن تصور علم اللغويات دون أن نربطه بالإثنولوجيا ؛ و لا يمكن تفهم الإثنولوجيا دون أن نلقي ضوءا على اللغة .

و أهم وظائف اللغة الاتصال الاجتماعي و الارتباط بين الجماعات لتوثيق العلاقات الاجتماعية و تحصيل ثقافة المجتمع و نقلها بين الأجيال لتوحيد شخصية المجتمع ؛ و الربط بين النظم الاجتماعية الأخرى ؛ لأن اللغة هي أداة الفهم و التعامل و التعبير عن حاجات المجتمع و إرادته و ثرائه الثقافي و العمل على تطوير المجتمع عن طريق نقل الأفكار بين الناس و الاتصال بالجماعات الأخرى ؛ و خلق معاني جديدة لا توجد في الحياة الواقعية و إنما تشتقها اللغة من أفكار عقلية فتدفع المجتمع إلى تحقيقها – مثل المثل العليا و المجتمعات الفاضلة و السعادة و ما بعد الطبعة ؛ و ما فوق الواقع ؛ و غير ذلك مما تزخر به الفلسفة .

و حيث أن اللغة ظاهرة اجتماعية و ثقافية ؛ فهي تعد أحد الميادين الهامة التي يهتم بها علماء الأنتروبولوجيا الثقافية ؛ فهي تدرس اللغات العديدة المنطوقة في عالمنا المعاصر ؛ كما يهتم بدراسة نشأة اللغات في الجماعات الإنسانية ؛ و ذلك بمتابعة اللغات و تفرعها إلى لهجات و مدى انتشار هذه اللغات و لهجاتها ؛ و الصراع الذي يحدث بين اللغات و القوانين التي تسيطر على هذا الصراع ؛ و تأثر اللغات بعضها ببعض و بالأديان و العلوم ؛ فعن طريق اللغة نستطيع أن نتوصل إلى طبيعة و تفسير الاحتكاك الثقافي الحادث بين سائر اللهجات مما ينجم عنه بعض المشابهات في اللغة ؛ ففي اللغة الإنجليزية نشاهد بعض الكلمات الفرنسية ؛ مما يؤكد الاحتكاك الثقافي بين إنجلترا و فرنسا ؛ و في ضوء هذا الاحتكاك اللغوي يمكننا تقسيم الأجناس و تصنيف البشر استنادا إلى اللغة.

و ينصرف الجانب الأكبر من الدراسات اللغوية الأنتروبولوجية إلى دراسة اللغات الغربية كلغات الهنود الحمر الأمريكيين التي تختلف اختلافا كبيرا عن اللغات العالمية المعروفة كاللغة الإنجليزية و الصينية و الروسية .

و قد صاغ " بينامين هورف Beniamin Whorf " و " ادوارد سابير Sapir " فروضهما حول دراسة اللغة و نظرا إلها على أنها بمثابة المرشد الحي لطبيعة الواقع الاجتماعي الذي يعيشه الأفراد في الثقافات المحلية .

أما " ستانلي نيومان Stanley New man "فلا يرى أهمية حقيقية في إقبال الباحث الأنتروبولوجي على دراسة الخصائص البنائية للغة مثل التعريب أو الإعراب و الاشتقاق اللغوي و تكوين الجمل ؛ أو غير ذلك من العمليات اللغوية ؛ و إنما عليه أن يقوم بدراسة اللغة كظاهرة اجتماعية أو كمظهر ثقافي ؛ و ذلك عن طريق تحليل علاقة اللغة بالأنماط الاجتماعية و الأمزجة و الطباع الخاصة بشعب معين في ضوء دراسة موجهات القيم و التقاليد المحلية و علاقتها باللغة .

و كانت العلاقة بين اللغة و التوزيع السلالي و التباين أحد المجالات الهامة للأنتروبولوجيا في القرن التاسع عشر ؛ و الأنتروبولوجيا لا تلقي اهتماما بالتوزيع السلالي في حد ذاته و كما أورده المؤرخون و لكنها تلقي الضوء على التوزيع اللغوي و العلاقة المتوازية بينه و بين السلالات ؛ فقد حاول " سلجمان Seligman " في كتابه " أجناس إفريقيا " أن يحدد معالم أجناس إفريقيا استنادا إلى مجموعة من اللهجات و اللغات المتمايزة ؛ و من ثم كان تقسيم " سلجمان للأجناس الإفريقية إنما يعادل إلى حد كبير تقسيمه لسائر اللغات و اللهجات السائدة بين الشعوب و المجتمعات و القبائل الإفريقية .

و من ثم يتعين على الباحث الأنتروبولوجي أن يدرس لغة المجتمع الذي يبحثه و لهجاتها ليتشرب معناها و مبناها ؛ و ليتعرف على فحواها و مغزاها ؛ لأن اللغة هي وسيلة الاتصال بالأهالي ؛ و لأنها تتصل بالتنظيم الاجتماعي و ترتبط بظواهر الدين و السحر . [[10]](#footnote-11)

1. صالح بلعيد: **علم اللغة النفسي**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، بدون طبعة، 2008، ص75-76 [↑](#footnote-ref-2)
2. صابر كنوز: **اللسانيات التطبيقية وعلم اللغة النفسي**، كلية الآداب واللغات، جامعة أم البواقي -الجزائر [↑](#footnote-ref-3)
3. حمد دكار: **محاضرات في علم النفس اللغوي** موجهة لطلبة السنة أولى ماستر،كلية العلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2020 ، ص 13 [↑](#footnote-ref-4)
4. <https://salim-mezhoud.hooxs.com/t1948-topic>, 20/10/2024 [↑](#footnote-ref-5)
5. محمد الخطيب : **الأنتروبولوجيا الاجتماعية ؛ منشورات دار علاء الدين** ؛ دمش – سوريا ؛ الطبعة الثانية ؛ 2008 ؛ ص 09 [↑](#footnote-ref-6)
6. مصطفى تيلوين : **مدخل عام في الأنتروبولوجيا** ؛ دار الفارابي ؛ بيروت – لينان ؛ الطبعة الأولى ؛ 2011 ؛ ص 19 [↑](#footnote-ref-7)
7. محمد الجوهري و آخرون : **الأنتروبولوجيا الاجتماعية – قضايا الموضوع و المنهج** ؛ دار المعرفة الجامعية ؛ الاسكندرية ؛ بدون طبعة ؛ 2004 ؛ ص 05 [↑](#footnote-ref-8)
8. حسين عبد الحميد أحمد رشوان : **الأنتروبولوجيا في المجالين النظري و التطبيقي** ؛ مرجع سبق ذكره ؛ ص 103 – 104 [↑](#footnote-ref-9)
9. كريم زكى حسام : **الدين: القرابة**، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ؛ الطبعة الأولى ؛ ،1990 [↑](#footnote-ref-10)
10. حسين عبد الحميد أحمد رشوان : **الأنتروبولوجيا في المجالين النظري و التطبيقي** ؛ مرجع سبق ذكره ؛ ص 106 - 112 [↑](#footnote-ref-11)